شذرات

دروس الآداب الشرقية

في السنة ١٩٣٦-١٩٣٧

جرت في هذا المعهد الجديد، اثناء السنة ١٩٣٥-١٩٣٦، الامتحانات لنيل شهادة اولى بالدروس الشرقية، موضوعها تاريخ سورية وفنيقية وآثارهما في العصور اليونانية - الرومانية والبيزنطية. وقد نال الشهادة سبعة من الطلاب. والمعهد يعدّ، في السنة الحالية ١٩٣٦-١٩٣٧، عدداً من الطلاب لنيل شهادة جديدة في الدروس الأرمنية.

اما المحاضرات العادية فقد بدأها، نهار الخميس في ٥ تشرين الثاني ١٩٣٦، فرنان شابوتيه، الاستاذ في كلية الآداب في بوردو، داراساً قصر مالية المينوي. وهذا مجمل اقسام المنهاج العام:

١ً اللغة العربية وآدابها

مواضيع الادب العربي: السلسلة الرابعة:

القاهرة عاصمة الادب الفاطمي

١٥ اشولة يلقيها فؤاد افرام البستاني، استاذ الآداب العربية في جامعة القديس يوسف. من ٧ كانون الثاني الى ١٣ ايار ١٩٣٧.

٢ً التاريخ والآثار القديمة في سورية وفنيقية

١: قصر مالية المينوي. ما هي الطريقة في تأريخ قصر مينوي.

اشولتان يلقيهما فرنان شابوتيه، الاستاذ في كلية الآداب في بوردو. ٥ و٧ تشرين الثاني ١٩٣٦.

ربيع الاشولتين محاضرة في تمثيل الفضاء والقدر في الفنّ اليوناني.

ب : فنّ النحت اليوناني.

٥ امثولات يلقيها شارل دوغا ، عضو مراسل في المجمع الفرنسوي ، والاستاذ في كلية الآداب في ليون . من ٥ الى ٢٢ اذار ١٩٣٧

ج : سورية الرومانية :

الادارة ، السياسية ، الحياة اليومية.

٧ امثولات يلقيها الاب رينه موتر د اليسوعي ، والامير موريس شهاب ، أمين المتحف الوطني اللبناني . من ١٦ كانون الاول ١٩٣٦ الى ٣ اذار ١٩٣٧

د : بادية سورية في القرون الاولى للمسيح ،

على ضوء الحفريّات الحديثة .

٣ امثولات يلقيها دانيال شلومبرجر ، من دائرة الآثاريّات في سورية . من ١٣ الى ٢٧ كانون الثاني ١٩٣٧

ه : البدو والإسلام في القرن الاول للهجرة .

٤ امثولات يلقيها الاب شارل اليسوعي ، حامل شهادة مدرسة العلوم العالية ، وشهادة مدرسة اللغات الشرقية حيفا . عضو مراسل للمعهد الفرنسوي في دمشق . من ١٨ تشرين الثاني الى ٩ كانون الاول ١٩٣٦

٣ علم الشؤون الارمنية

ا : الفنّ الارمني وعلاقاته بفنون البلاد المجاورة .

٥ امثولات يلقيها الاب ج . ميجريان اليسوعي ، من اساتذة اللاهوت في جامعة القديس يوسف . من ١٠ كانون الاول ١٩٣٦ الى ١٤ كانون الثاني ١٩٣٧ .

ب : تمرين سنوي لنيل الشهادة الاولى في علم الشؤون الارمنية .

ا تاريخ ارمينية وموسى خورني في العصور القديمة والوسطى)

يلقيها الاب ميجريان من ١٨ كانون الثاني الى ١٥ ايار ١٩٣٧ .

العناية الالهية في نظر المعلم الثالث[1]

انّ اقوال ابن سينا في العناية الالهيّة جدّ متناقضة. فبينا نشعر بانه يشرح هذه القضية شرحاً يلائم نظريته الصدورية ، وينافي القرآن وسائر الكتب الدينية؛ نراه من جهة اخرى يتملّص من تبعة آرائه المضلّة مؤمناً بان الله تعالى يدبر كلّ شيء ويعتني بكل شيء مما في السماوات والارض بعناية مطلقة. ولنستفض الآن في تبيان ما اوجزناه ، فنقول ، وبالله الاستعانة:

١

ان كل مثقف يقرأ بامعان مصنفات ابن سينا الفلسفية يتوضّح له ان حكمته — اساساً — هي مزيج من التعاليم الافلاطونية والارسطوية مع بعض زيادات وتعديلات تتفاوت قيمةً ووزناً بتفاوت الموضوعات التي قرّرها. ومن نظريّاته التي تأثرت كثيراً بالتعاليم الافلاطونية نظريّته في العناية الالهية.

ان افلاطون الالهي — كما يسميه علماء العرب — كان يقول بعنايات ثلاث: فالعناية الاولى تختصّ بالاله الاعظم الذي يعتني اولاً وأصالةً بالروحانيات ، وتبعاً بالعالم كله من حيث الاجناس والانواع والعلل الكلية. والثانية تتعلق بالجزئيّات التي يعرضها الكون والفساد ، وقد نسبها الى الآلهة المحيطين بالسماوات اي الجواهر المفارقة التي تحرّك الاجرام السموية بحركة مستديرة. والثالثة هي العناية بالامور الانسانية ، وقد عزاها الى الشياطين الذين كان يجعلهم الافلاطونيون وسطاء بيننا وبين الله ، على ما رواه القديس اغوسطينوس في كتابه الموسوم «بمدينة الله» (*Civitas Dei*)[2]

ونحن نرتئي ان الشيخ الرئيس ، استناداً الى هذا التعليم ، قال بانّ الله ، او المدبر الاول ، يدبّر ويعتني بالعقل الاول وبكل ما يصدر عنه ، والعقل

١: هذا من القاب ابن سينا التي يفرضها عليه الاقدمون. اما المعلّمان الاولان فهما ارسطو المعلّم الاول ، والفارابي المعلم الثاني.

٢) ك ٩ : ١ و ٢ ، ك ٨ : ٤ و ١١. طابع ايضاً كتاب العناية لفربفوريوس الصيداوي ك ٨ : ب ٣ ، والملائمة اللاهوتية للقديس توما الاكويني م ١ ب ٢٢ ، ف ٢.

الاول يدبّر ويعتني بالعقل الثاني وبما يشتقّ منه ، والعقل الثاني يعتني ويدبّر العقل الثالث ولواحقه ؛ وهكذا حتى تنتهي بهذه السلسلة المنظمة « الى العقل الفعّال الذي يدبّر انفسنا »[1] لان العلل العالية او الصدورات الاولى عن واجب الوجود « لا يجوز ان تعمل ما تعمل من العناية لاجلنا »[2] بل كل علة تعمل لاجل تاليتها ، وتسوقها الى غايتها القصوى حتى يصل هذا العمل الى الفلك الاقصى ، الذي اجسامه تؤثر في اجسام هذا العالم بالكيفيّات التي تخصّها وتسري منها الى هذا العالم ، وانفسه تؤثر في انفس هذا العالم . « وبهذه المعاني تعلم ان الطبيعة التي هي مدبّرة لهذه الاجسام كالكمال والصور حادثة عن النفس الفاشية في الفلك او بمعونتها »[3]

فينتج من ذلك : كما ان الله ، في نظر فيلسوفنا ، يعرف الجزئيات بالعلل الكلية ، هكذا يعتني بالجزئيات ويدبّرها بالعلل الكلّية . اذ ليس شيء في شيء من الجزئيات الا وهو صادر عن علة كلية . وبعبارة اوضح : ان ابن سينا يعترف بانه لا بدّ في التدبير من اعتبار امرين : مبدإ التدبير الذي هو العناية ، وانفاذه . فالله باعتبار كونه مبدأ التدبير يدبّر جميع العلل العالية مباشرة ، واما باعتبار انفاذ التدبير ، فانه ينفّذ هذا التدبير في العلل العالية بنفسه مباشرة ، وفي المخلوقات السفلى بواسطة العليا .

وهذا الرأي المغلوط يتساوق ، كما لا يخفى ، مع نظرية ابن سينا في تكوين العالم ، الا انه من جهة اخرى يناقض كتب الوحي التي تصرّح بان عناية الله لا تنحصر في العلل العالية ، ولا في السماء والارض ، ولا في الانسان والملك ، بل تتناول احشاء اصغر الحيوانات واحقرها ، وادق ريش الطير ، وزهر العشب ، وورقة الشجرة ، بحيث لا يُغفل التوفيق بين اجزائها ، وبوجيز العبارة : ان تدبير الله يعم جميع الاشياء كبيرة كانت ام صغيرة ، حقيرة ام سامية .

٢

بيد ان الشيخ الرئيس ، ايماماً للمذهج ، اضاف الى ما تقدم قولاً معتمداً

١) النجاة ، ص ٤٥٥ ٢) الكتاب نفسه ص ٤٦٦
٣) الهيات النجاة ، ص ٤٦٣

هاكه بالحرف:

« ليس لك سبيل الى ان تنكر الآثار العجيبة في تكون العالم ، واجزاء السماويات واجزاء النبات والحيوان مما لا يصدر ذلك اتفاقاً بل يقتضي تدبيراً ما ، فيجب ان تعلم ان العناية هي كون الاول عالماً لذاته بما عليه الوجود من نظام الخير وعلة لذاته للخير والكمال بحسب الامكان ، وراضياً به على النحو المذكور فيعقل نظام الخير على الوجه الابلغ الذي يمكنه فيضاناً على اتم تأدية الى النظام بحسب الامكان فهذا هو معنى العناية »[1]

حقًا ان هذا الكلام فيه من المغالطة ما ليس بقليل. هب ان الاول يعلم من نفسه نظام الخير ، وانه هو نفسه علة هذا الخير والكمال «بحسب الامكان» فهل يكفي ذلك لتقرير العناية الالهية التي تعتني بدقائق الجزئيات ؟ هذا ما لا نظنه. وكما ان الطبيب الافضل ليس من يلاحظ الكليات فقط، بل من يقدر ان يلاحظ دقائق الجزئيات ايضاً ، هكذا المعتني الافضل ليس من يعرف نظام الموجودات وحده بل من يحيط علماً باصغر الموجودات وادقها.

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى اذا كان الباري تعالى لا يدرك الامور الجزئية الا من حيث هي كلية[2] ، فكيف يمكنه ان يعتني بالجزئيات من حيث هي جزئيات ، واذا صنع ذلك يشبه طبيباً لم يعرف داء مريضه الا يسيراً ومع ذلك يجهد نفسه في تدبيره وتطبيبه !

الخلاصة

خلاصة ما تقدم ان الشيخ الرئيس بعيد عن الحقيقة في القولين بعداً شاسعاً. اما في القول الاول فقد اوضحنا ذلك بايجاز. واما في القول الثاني فنبينه هنا تعميماً للفائدة:

كما كان كل فاعل يفعل لغاية معلومة ، كان عموم سوق المعلولات الى غاية على قدر عموم علّيّة الفاعل الاول. وبما ان علّيّة الله الذي هو الفاعل الاول تعمّ جميع الموجودات ، ليس من حيث المبادئ النوعية فقط بل من حيث المبادئ

١) الهيات النجاة ، ص ٤٦٦.

٢) الهيات النجاة ، المقالة الثانية ، الفصل الخامس عشر.

الشخصية ايضاً، لا في الاشياء الغير الدائرة فقط بل في الاشياء الدائرة ايضاً، كان لا بد ان تكون جميع الاشياء الموجودة بمجالٍ من الاحوال مسوقة من الله الى غايةٍ فاذا لم تكن عناية الله الا سبب سوق الاشياء الى غايتها فلا بد ان تكون جميع الاشياء خاضعة لها من حيث هي مشتركة في الوجود. وبوجيز العبارة اذا كان الله هو علّة جميع الاشياء المباشرة، وكان يعرف جميع الاشياء كلّيها وجزئيّها مباشرة، كان عليه ولا ريب وهو الحكيم السامي، ان يعتني بجميع الاشياء مباشرة. وهذا واضح حتى ان ابن سينا نفسه قد اقرّه في غير فلسفته، او انه اقرّه في حكمته ولكن بطرق مبهمة شأنه في سائر نظرياته.

واخيرًا كم يلذ لنا ان نختم هذه المجالة بكلمة رائعة فاه بها مؤسس مجلة المقتطف المأسوف عليه الدكتور يعقوب صروف اللبناني . قال اجزل الله ثوابه :

« من الناس من يقول: « ان الله معتنٍ بالامور الكبيرة، ولكنه لا يلتفت الى الصغيرة ». فلو صحّ زعمهم وترك صغار الاشياء لتترك الجراثيم نفسها لانها من اصغر ما يوجد. ولو تركها سنة واحدة لخرب نظام العالم، وصار الانسان يزرع ارضه قمحاً فتنبت له عقارب، وينصب كرمه عنباً فيخرج له حيّات، ويتزوج بامرأة فتلد له جنادب، ويركب على فرس فيستحيل تحته ضفدعاً. . . لو بطلت العناية لحظة من الزمان تعذر علينا ان نعرف مصير هذه الجراثيم. » فتأمل وتدبر.

الاب بولس مسعد الخلبي

الاب يوسف مونجانه اليسوعي ١٨٧٤ — ١٩٣٧

يذكر قرّاء « المشرق » ما كان للمرحوم الاب يوسف مونجان اليسوعي من جولات في مواضيع اللاهوت الادبي والطقوس الشرقية، ومن دروس الكتب اللاهوتية الجديدة، ومن ايضاحات واجوبة وفتاوى على بعض مشاكل العصر، كان يلجأ اليه فيها عدد من قرّائنا اكليريكيين وعلمانيين. واننا لنذكر خصلة ذاك الهدوء الذي رافق الفقيد في كل اعماله، طول حياته المثمرة، فلم يرفض طلباً، ولم يتلكأ في اداء خدمة، ولم يسمع منه احد كلمة تذمّر وشكوى.

وُلد الفقيد في ١٩ ايلول ١٨٧٤ في فرانش-كونته - ودخل دير الابتداء في

هاستينغس (انكلترة) في العشرين من عمره . ثم قدم فرنسة للقيام بخدمته العسكرية ، وعاد الى الابتداء في إكس . وفي السنة ١٨٩٩ ، قدم الى غزير ، بعد ان نال الليسانس في الادب ، ليباشر درس الفلسفة ، ودرس اللغة العربية .

في السنة ١٩٠٤ عاد الى انكلترة ، فدرس اللاهوت مدة اربع سنوات في كنتربري . حتى اذا انتهى ، ورُسم كاهناً ، رجع الى بيروت فعُيّن استاذاً في كلية الآداب الشرقية سنة ١٩٠٨ . ولم يترك بيروت منذئذٍ الّا سنةً واحدة ١٩١١–١٩١٢ قضاها في بلجكة ، ومدة سني الحرب ١٩١٤-١٩١٩ ، وكان اثناءها ملحقاً بخدمات الجيش في لانغر (Langres) ثم في باريس .

وبعد الحرب عيّنه الرئيس الاقليمي استاذاً للاهوت الادبي وللحقّ القانوني في كلية بيروت . فلم يتردّد في قبول مهمة لم يتصوّر ، من قبل ، انه يُعهد اليه فيها . وانكبّ على الدرس بما عُهد فيه من جلد ، ووضوح ، وحسن ترتيب ، حتى غدا درسه من اوضح الدروس واثبتها اُسّاً ، واجمعها تفرّعات . وان تلامذته جميعاً ليذكرونه بالشكر والفضل ، لما كان يُقدمهم به من حلول وشروح ، حتى بعد رسامتهم كهنةً وتفرّقهم في انحاء الشرق الادنى كلّه . واوضح دليل على ذلك ما كان يتلقى الاب من سؤالات في الحقّ القانوني او اللاهوت الادبي .

وكان ، الى ذلك ، يدير المكتبة الكبرى في جامعة القديس يوسف ، وهي غير المكتبة الشرقية . ويكفي بهذا العمل وحده تعرّضاً لطلب الفوائد والخدمات ، واهتماماً دائماً بكل ما يصدر من مؤلفات جديدة .

هذه بعض نواحي شخصية الفقيد العامل ، المنتقل الى رحمته تعالى صباح ١٤ كانون الثاني ١٩٣٧ ، في السنة الثالثة والستين من عمره ، والثالثة والاربعين من حياته الرهبانية . ينعيه « المشرق » الى قرائه الكرام ، ذاكراً مؤونته المتتابعة مدة سبع عشرة سنة[1] . كافأه المولى مكافأة العبد الصالح الأمين !

---

(١) من اهم آثار الفقيد في « المشرق » ابحاثه في السيريانيه او مساهمة اروقته في السنة ١٩ [١٩٢١] ٢٧٨ ، ٣٥٣ . . . وفي الختوس والطوانف في الكنائس الشرقية ٣٠ [١٩٣٢] ٧٢١ ، ٩٠٤ . . . ومقال في مآثر البابا بندكتوس الخامس عشر في السنة ١٨ [١٩٢٠] ٦٠ . وله في كل السنوات اوصاف مستفيضة للكتب اللاهوتية والقانونية الجديدة .